المبحث الثالث

أمره تعالى لنوح ببناء السفينة

المطلب الأول

يأس نوح من قومه ودعاؤه لهم([[1]](#footnote-1))

أولا: في المصادر الإسلامية

مر بنا أن دعوة سيدنا نوح عليه السلام استمرت ألف سنة إلا خمسين عاما، ولكنهم لم يستجيبوا له، وعصوا أمره، واتبعوا الشياطين ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ.([[2]](#footnote-2))

ولم يؤمن بنوح إلا عدد قليل من قومه، قال تعالى عنهم: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ.([[3]](#footnote-3))

هذا العدد القليل من المؤمنين مبهم في القرآن الكريم، فلم يحدد القرآن عددهم، ولم يبين أسماءهم، كذلك لم يحدد الرسول أعدادهم ولا أسماءهم، ولم يسأل أحد من الصحابة الكرام الرسول عن ذلك، وأخذوا النص القرآني على إجماله، وتعاملوا مع العدد على إبهامه، ولم يشغلوا أنفسهم فيما لا فائدة منه، والتفتوا إلى العبرة والعظة المستفادة من المسألة.([[4]](#footnote-4))

لقد انتهت الفرص الممنوحة لهم بالإيمان، لأنهم لم يستفيدوا منها ولم ينتهزوها، وماذا يريدون فرصة أطول من تسعمائة وخمسين عاما؟

وعلم الله تعالى أن هؤلاء العتاة الكفار لن يؤمنوا، ولهذا أوحى لنوح عليه السلام: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼ.([[5]](#footnote-5))

لقد انتهى الأمر وأغلق الباب، آمن من آمن، واستفاد وفاز، وكفر من كفر، وخاب بذلك وخسر، عند ذلك دعا نوح لقومه الكفار: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ.([[6]](#footnote-6))

طالما أصروا على كفرهم، وطالما أخبره الله تعالى أنهم لن يؤمنوا، إذن فليدع عليهم بالهلاك: رب لا تترك واحدا منهم حيا، ولا تدع على أهل الأرض منهم ساكنا في بيت أو دار!

والديار: هو الساكن الذي يسكن الدار.([[7]](#footnote-7))

وإن يأس نوح عليه السلام من قومه وطلبه النصر من الله سبحانه وتعالى جاء في القرآن الكريم بصيغ وعبارات مختلفة، ولكنها تدل على شيء واحد، ومجموع الآيات ستة، وهي قوله تعالى: ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﭼ ([[8]](#footnote-8)) وقوله تعالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ ([[9]](#footnote-9)) وقوله تعالى: ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ ([[10]](#footnote-10)) وقوله تعالى: ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ ([[11]](#footnote-11)) وقوله تعالى: ﭽ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﭼ ([[12]](#footnote-12)) وقوله تعالى: ﭽ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﭼ.([[13]](#footnote-13))

ثانيا: في مصادر أهل الكتاب

تذكر مصادر أهل الكتاب أن الرب لما رأى أن الشر قد انتشر في الأرض، حزن كثيرا وأسف في قلبه، فرأى أن يمحو المخلوقات من الإنس والبهائم والطيور.

ورد في العهد القديم النص التالي:

5وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. 6فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ، وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ. 7فَقَالَ الرَّبُّ: «أَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ الإِنْسَانَ الَّذِي خَلَقْتُهُ، الإِنْسَانَ مَعَ بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَطُيُورِ السَّمَاءِ، لأَنِّي حَزِنْتُ أَنِّي عَمِلْتُهُمْ».([[14]](#footnote-14))

11وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. 12وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. 13فَقَالَ اللهُ لِنوح: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ.([[15]](#footnote-15))

مما تقدم نرى أن كلا من القصة القرآنية والتوراتية وضعت مسألة تفشي الظلم والفساد كخلفية للأحداث، بيد أن التوراة لم تتحدث تفصيليا عن الأسباب في هذا الصدد، في حين أن القرآن كشف عن أسباب جوهرية، ولكن مع ذلك فالقرآن لم يعرض تلك الأسباب مباشرة، بل تركها للقارئ لكي يستنتجها من خلال عرض لحوار كان قد أخذ مكانا بين نوح والملأ أو الأشراف من القوم، فالقرآن عادة يخاطب الإنسان من خلال استخدام المنطق وأدواته بغية ترك المجال له للتوصل إلى النتائج بفكره، هذا وإن الحوار بين نوح والملأ كان يشير إلى مشكلة اجتماعية ناتجة عن استعلاء طبقة على طبقة أخرى وحرمان الأخيرة من حق تقرير المصير، ومن العيش الكريم، أو بكلمة أخرى فالحوار قد كشف عن هوة ساحقة بين الأقوياء أصحاب الثراء والنفوذ من جهة، وبين الضعفاء والفقراء والمساكين من جهة أخرى، هوة أدت إلى انتشار الظلم، والإخلال بموازين العد، بكل الآثار السلبية المترتبة عن ذلك في المجتمع السائد وقتئذ، هذا وبما أن الظلم كما كان سائدا في عصر نوح، يشابه الظلم الذي ساد في كثير من العصور التالية، فالحوار بين نوح والملأ قد زود الإنسان بأسباب جوهرية عن التصدع في مجتمع يقف كنموذج لغيره وبالتالي الحلول، هذا وإن الكشف عن الأسباب والحلول في قصة نوح القرآنية أمر هام، فهو يبرز أزلية القرآن، وبهذا الإطار نرى اختلافا بارزا بين التوراة والقرآن، فالقصة التوراتية بدت وكأنها تتحدث عن شيء مضى وانتهى، في حين أن القصة القرآنية تحدثت عن شيء مضى، ولا تزال أحداث مشابهة له تأخذ مكانا حاضرا ومستقبلا، وبهذا تركت الأبواب مفتوحة للاستفادة، وأخذ العبر.

ولو انتقلنا من موضوع الخلفية لأحداث قصة نوح إلى موضوع أثر تلك الخلفية في البعث على الغضب الإلهي من الأشرار، نرى أن السياق العام للأحداث توجه في كل من التوراة والقرآن نحو التركيز على الإبلاغ الإلهي لنوح لصنع الفلك كهيئة لإيجاد وسيلة للخروج من العقاب الإلهي الذي ينتظر الكفار.

المطلب الثاني

سفينة نوح

في المصادر الإسلامية

أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام بأنه لم يبق أحد من قومك يؤمن بك، فلا تحزن عليهم، عند ذلك شكا نوح عليه السلام إلى ربه بأن ينصره عليهم، فأوحى إليه أن يصنع الفلك، قال تعالى: ﭽ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﭼ ([[16]](#footnote-16)) أي: بمرأى منا وحفظنا.([[17]](#footnote-17))

والفلك هو السفينة، ويطلق على الواحد والجمع، فمن إطلاقه على السفينة قوله تعالى: ﴿ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﴾ ومن إطلاقه على الجمع قوله تعالى: ﭽﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ .([[18]](#footnote-18))

ولنا وقفة مع قوله تعالى: ﭽ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﭼ ...

يقول الشيخ الشعراوي في تفسيره: "ومعنى « أصنع » أي: اعمل الصنعة، وهناك فرق بين الصنعة والحرفة، فالصنعة أنْ تُوجِدَ معدوماً، كصانع الأكواب، أو صانع الأحذية، أو صانع النَّجَفَ، أو صانع الكراسي، أما الذي يقوم على صيانة الصنعة فهو الحرفيُّ...

والحق سبحانه وتعالى يقول هنا لنوح عليه السلام: واصنع الفلك.

أي: أوجد شيئاً من عدم، إلا أن هذا الشيء سيصنع من شيء آخر موجود، لأن نوحاً عليه السلام قد زرع من قبل شجرة وعاشت معه كل هذه المدة الطويلة، وتضخَّمت في الجذع والفروع...

وقد علَّمه الحق سبحانه بالوحي وإلهام الخواطر كيف يصنع السفينة، ألمْ يُلهِم الله سبحانه نبيِّه داود عليه السلام في مسألة الحديد؟ وقال لنا سبحانه أنه جلَّ وعَلا قد أمر الجبال أو تُؤَوِّب معه ، وكذلك الطير ، فألان له الحديد دون نار: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘﮙ ﭼ.([[19]](#footnote-19)) ..

ومعنى بِأَعْيُنِنَا أنها صنعة دقيقة ، لم يترك فيها الحق سبحانه نبيَّه يفعل ما يشاء، إنما تابعه ولاحظه ووجَّهه إلى كيفية صناعتها والمواد المستخدمة فيها، كما قال سبحانه : ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ ([[20]](#footnote-20)) وهي قد تكون الحبالأو المسامير تُشَدُّ بها الألواح بعضها إلى بعض، أو غير ذلك، فلا نجزم.

لكن، مهما أُحكِمَتْ الألواح - سواء كانت من الخشب أو من غيره - بعضها إلى بعض، فلا بُدَّ أنْ يظل بينها مسامّ يتسرب منها الماء، فكيف نتفادى ذلك في صناعة الفُلْك خاصة في مراحلها البدائية؟ يقولون: لا بُدَّ لصانع الفُلْك إذا كانت من الخشب أنْ يجفف الخشب جيداً قبل تصنيعه فإذا ما نزل الخشبُ الماءَ يتشرب منه، فيزيد حجمه فيسدّ هذه المسام تماماً، ولا يتسرب منها الماء، ومن عجائب القرآن ومعجزاته في مسألة الفُلْك قوله تعالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭼ ([[21]](#footnote-21)) يعني: كالجبال العالية. وهذه الفُلْك لم تكُنْ موجودة وقت نزول القرآن إنما أخبر الله بها ، مما يدل على أنه تعالى الذي امتنّ علينا بهذه النعمة، علم ما يمكن أن يتوصل إليه الإنسان من تطور في صناعة الفلك، وأنها ستكون عالية شاهقة كالجبال..."([[22]](#footnote-22))

ويقول السيد طنطاوي في تفسيره الوسيط: "في قوله تعالى: ﯲ ﯳ إشارة إلى أن نوحاً بجانب مباشرته للصنع بنفسه ، كان مزوداً من الله - تعالى - بالعناية والرعاية وبحسن التوجيه والإرشاد عن طريق الوحى الأمين؛ وذلك لأن سنة الله - تعالى - قد اقتضت أن لا يضيع عمل عباده المخلصين ، الذين يبذلون أقصى جهدهم فى الوصول إلى غاياتهم الشريفة".([[23]](#footnote-23))

وصار نوح عليه السلام يصنع السفينة بأمر الله ووحيه، وبعينه ورعايته وحفظه.

وصار الملأ من قومه يمرون عليه، ويشاهدونه وهو يصنع السفينة، ويستغربون، لماذا يصنع السفينة؟ وهل تخلى عن النبوة ليصبح صانعا للسفن؟ وما دخل السفينة في الدعوة؟

ثم صاروا يسخرون منه، ويتهكمون عليه ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚﭛ ﭼ ، وكان نوح عليه السلام يجيبهم: ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ.

إن شروع نوح ببناء السفينة يظهر حركية عملية في القصة، بعد حركية طويلة في عالم التبليغ، ومع أهمية تحركه في مجال صنع السفينة، إلا أن الملأ الكفرة لم يدركوا ذلك، وظنوا مرة أخرى أنه بإمكانهم الآن التعبير عن استخفافهم منه ببساطة، فلو لم يتمكنوا من الوقوف أمامه في طريقته الجدالية المدعمة بالعلم والمنطق وأدواته، كما كان الحال سابقا، فعلى الأقل الآن يتمكنون بحسب اعتقادهم من الوقوف أمامه اجتماعيا، ومن هذه الزاوية مضوا للسخرية منه وهو يصنع السفينة.

فهؤلاء لم يكتفوا بإعلان حرب شعواء على المبادئ الروحية والمثل الأخلاقية التي تجلت في رسالة نوح، بل وقفوا باستكبارهم ضد إنجاز الصناعات اللازمة في حياة الأقوام، ومن هنا فقد استحقوا هم أنفسهم (السخرية) من مواقفهم تلك، ولم تلبث السخرية أن وجهت من جانب نوح إليهم كالآتي كما ورد في كتاب مجموعة من التفاسير: (إن تستجهلوننا في صنعنا للفلك فإننا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه).([[24]](#footnote-24))

ومن ثم أردف قائلا لهم بأنكم سوف تعلمون من الذي سيلحق به عذاب يخزيه في الدنيا، كما أنكم سوف تعلمون من سيلحق به عذاب مقيم أي في الآخرة، ومن الجدير بالذكر هنا أن نوحا فرق لقومه بين نوعين من العذاب: أولهما العذاب الدنيوي وهو جماعي بطبيعته، وثانيهما العقاب الأخروي، وهو فردي بطبيعته... إن سخرية نوح من القوم إذن قائمة على علم ومعرفة، وهي تسير بخط معاكس لسخريتهم منه، على أن ذلك يظهر أن السخرية كمفهوم تشير إلى اتجاهين: اتجاه إيجابي مرتبط بالمعرفة والعلم والمنطق والإلمام التام بعواقب الأمور، كما يتجلى من سخرية نوح الأخيرة من الملأ، ثم اتجاه سلبي مرتبط بالجهل والغطرسة وعدم التقدير لعواقب الأشياء، كما يتمثل في سخرية الملأ من نوح حين كان يصنع السفينة، هذا، وإن العرض والتفريق القرآني لهذين الاتجاهين هام للغاية؛ لأنه يبرز أحد عناصر المعرفة التي يقدمها القرآن بالخطوط العريضة إلى عالم الفكر الإنساني، حيث يترك الباقي للذهن البشري.([[25]](#footnote-25))

وصنع نوح السفينة كما أمره الله تعالى، وبعدما انتهى من صنعها انتظر الخطوة التالية من المواجهة بينه وبين قومه، حسب ما يريد الله تعالى، وحسب ما يوجهه إليها الله.([[26]](#footnote-26))

**مبهمات تتعلق بسفينة نوح**

وكل ما يتعلق بالسفينة مبهم في الكتاب والسنة، لم تبينه ولم تفصّله الآيات والأحاديث الصحيحة...

هل صنعت السفينة من الخشب؟ ومن أين قطع ذلك الخشب؟ وأين كان يقيم وهو يصنع السفينة؟ وكيف قطع ألواح الخشب وركّب منها السفينة؟ وما مساحة السفينة؟ وكم كان طولها وعرضها وارتفاعها؟ وماذا كان شكلها...؟

كل هذه الأسئلة – وغيرها – عليها إجابات في الأساطير القديمة و (الإسرائيليات)، لكن لا جواب عليها عندنا، ولا يضرنا عدم العلم بها، فلا تضيف لنا علما، ولا تقدم لنا عبرة أو عظة. ([[27]](#footnote-27))

لا نجد وصفا لسفينة نوح عليه السلام إلا في قوله تعالى: ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ.([[28]](#footnote-28))

والألواح قد تكون من خشب وقد تكون من شيء آخر, ومن استدل على الخشب من آية سورة القمر وحملناه على ذات ألواح ودسر فاستدلاله ليس قطعي الدلالة؛ فاللوح: "أسم لهيئة منتظمة صنعت بعناية" بلْ هُوَ قُرآنٌ مجيدٌ في لوحٍ محفوظ أمن خشب لوح الله المحفوظ أم من حديد؟

وليس في الكلمة دلالة قطعية على مادة الهيئة والصنعة, فقد يكون لوحا من خشب, أو من حجر, أو من حديد ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨﭩ ﭼ فمن يقطع لنا أنها ألواح من خشب؟

والدسر لها معنيان: أولهما: المسامير، وثانيهما: بمعنى الدَّفع، قال الإمام الراغب في المفردات: "الدسر المسامير، والواحد دسار، وأصل الدسر الدفع الشديد بقهر، يقال: دسره بالرمح".([[29]](#footnote-29))

وما تتناقله التفاسير من أن الله أوحى إلى نوح أن اصنع الفلك, فقال نوح: وكيف أصنعها ولست بنجار؟, فأنبت الله له شجرة مائة عام، فنجرها نوح مائة عام أخرى... فنقول: لم يثبت في كتاب ولا سنة صحيحة ولا أثر مقطوع بصحته.

فحال ما نسمع بسفينة نوح, يتبادر إلى أذهاننا سفينة خشبية من الطراز العتيق, بدائية كأشد الفلك بداءة, فلا ترقى بحال أن ترسو بمصاف المحدثات من المنشآت العصرية, من البوارج المتطورة, بصنعتها وقوتها وأدائها!. وهنا عجيب التناقض مما ألفينا عليه آباءنا.

لنتخيل معا... فلك يصنعه "نبي" بعين الله ووحيه, أي بأمره ورعايته, بتصميمه وأشرافه, وهو الله المبدع, فكيف يكون؟

إنه بلا شك أعلى مستوى مما يُتصور من الفلك, وأحسنها صنعة, وأتمها أداء, بما يتصاغر معه كل صنعة للناس, إلى يوم القيامة!

وليقرأ من شاء أن يقرأ : ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ فالآية صريحة, أن كل ما نركبه اليوم وحتى قيام الساعة, إنما هو "من مثل" الفلك الأول عند نوح, فهو أحسنها صنعة وأعلاها مثالا. ([[30]](#footnote-30))

وتجدر الإشارة إلى أنك إذا أردت أن تتصور سفينة نوح فعليك أن تتفكر طويلا في تلك الأوصاف التي وردت عنها في كتاب الله العظيم، تصور أولا أن الكرة الأرضية – كما سيأتي لاحقا – صارت بحرا واحدا، لا يابسة فيه، وتصور هذا البحر الهائج كيف يكون هياجه، وكيف تكون أمواجه، ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ موج كالجبال، رهيب، يثير الرعب الشديد، مسطح الكرة الأرضية كله مغطى بالماء، وهذا الماء يموج موجا كالجبال، لا يابسة تضعف من موجه، بل تثور الموجة، لتتموج كالجبال، يركب بعضها بعضا، إلى ما لا يتناهى، إذن مقتضى الحكمة أن تكون السفينة المعدة لتجري في تلك الكتل الرهيبة من الموج، يتحتم أن تكون على الغاية من متانة الصناعة، وضخامة البناء، حتى لا تتعرض للتمزق من قوة ضغط الأمواج عليها. ([[31]](#footnote-31))

ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ فيها إشارة إلى براعة الصناعة، والتي تحقق جريانها، دون أن تهتز أو تميد أو تغرق بهم، وإذا كان أهل صناعة السفن في عصرنا هذا يصممون عابرات المحيطات تصميما أقوى وأشد من السفن التي تمخر البحار الصغيرة، فكيف يكون تصميم سفينة هي ما وراء عابرات المحيطات؟ لقد تحولت الكرة الأرضية بمحيطاتها إلى محيط واحد، يموج بموج كالجبال، وتجري فيه سفينة واحدة، كأنها نقطة في بحر لا نهائي، وآية أخرى تشير إلى متانة ودقة الصناعة، وقوة الاحتمال: ﭽ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ لما طغا الماء، وغطى سطح الأرض كلها، وصار الطوفان عاما، حملناكم لأنكم جميعا من ذرية نوح، ومن معه من أولاده في السفينة، في الجارية في السفينة، التي تجري بهم في موج كالجبال، الجارية وصفها بأهم مزاياها، إنها تجري (سريعا في يسر) رغم تلاطم الأمواج كالجبال، صناعة ربانية ﯲ ﯳ ما كان نوح يعلمها، ولكن الله تعالى أعانه وعلمه، لنجعلها لكم تذكرة، تذكرون بها عجائب قدرتي، وتعيها أذن واعية، أذن تسمع أمرها من الوحي الإلهي، فتدرك أن هذا أمر إلهي، ليس في طاقة بشر...([[32]](#footnote-32))

ثم ماذا عن ضخامة السفينة (سفينة نوح) وضرورة تقسيم أجنحتها وطوابقها تقسيما هندسيا يحقق التنظيم اللازم، لكل الكائنات المختلفة التي سوف تركب فيها، سوف يركب فيها نوح وأولاده وزوجاتهم ومن آمن معه ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ بغض النظر عن عددهم وسوف يركب فيها ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭼ([[33]](#footnote-33)) ذكر وأنثى اثنين من كل الحيوانات التي في الأرض، وكل الزواحف، وكل الطيور، وكل الدبابات التي تعيش على سطح الكرة الأرضية...

ولو أنك ذهبت لتحصي أنواع الكائنات – غير الإنسان – على وجه الأرض من الأحياء، وأخذت من كل نوع زوجين اثنين، أي ذكرا وأنثى، ثم كلفت بشحن هؤلاء جميعا ومعهم ما يلزمهم من الأطعمة في سفينة واحدة، لكان جوابك: أيّ سفينة تلك تسع هذه الأعداد كلها؟ ولكن سفينة نوح وسعت هؤلاء جميعا...

فتحتم أن تكون هندسة تلك السفينة هندسة بارعة تحقق شحن تلك المتناقضات من الكائنات، التي تعيش على وجه الأرض بدون تنازع أو فوضى أو اضطراب؛ لأن شحن الحيوانات المفترسة في سفينة واحدة مع الحيوانات الأليفة، وكذلك شحن الطيور الكواسر مع الطيور الأليفة كل ذلك يحتاج إلى أماكن مقسمة تقسيما بديعا غاية الإبداع.([[34]](#footnote-34))

في مصادر أهل الكتاب

في العهد القديم ورد وصف دقيق للسفينة، فهي سفينة مصنوعة من خشب الجفر، ومقسمة إلى مساكن علوية وسفلية، ومطلية من الداخل والخارج بالقار، وطولها ثلاث مائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعا، وارتفاعها ثلاثون ذراعا.

يقول العهد القديم ما نصه:

14اِصْنَعْ لِنَفْسِكَ فُلْكًا مِنْ خَشَبِ جُفْرٍ. تَجْعَلُ الْفُلْكَ مَسَاكِنَ، وَتَطْلِيهِ مِنْ دَاخِل وَمِنْ خَارِجٍ بِالْقَارِ. 15وَهكَذَا تَصْنَعُهُ: ثَلاَثَ مِئَةِ ذِرَاعٍ يَكُونُ طُولُ الْفُلْكِ، وَخَمْسِينَ ذِرَاعًا عَرْضُهُ، وَثَلاَثِينَ ذِرَاعًا ارْتِفَاعُهُ. 16وَتَصْنَعُ كَوًّا لِلْفُلْكِ، وَتُكَمِّلُهُ إِلَى حَدِّ ذِرَاعٍ مِنْ فَوْقُ. وَتَضَعُ بَابَ الْفُلْكِ فِي جَانِبِهِ. مَسَاكِنَ سُفْلِيَّةً وَمُتَوَسِّطَةً وَعُلْوِيَّةً تَجْعَلُهُ.([[35]](#footnote-35))

وورد في العهد الجديد:

نُوحٌ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ عَنْ أُمُورٍ لَمْ تُرَ بَعْدُ خَافَ، فَبَنَى فُلْكًا لِخَلاَصِ بَيْتِهِ، فَبِهِ دَانَ الْعَالَمَ، وَصَارَ وَارِثًا لِلْبِرِّ الَّذِي حَسَبَ الإِيمَانِ.([[36]](#footnote-36))

وفي تفسير الكتاب المقدس عن مدة بناء السفينة: "كيف نحسب مدة بناء الفلك:- من الآية 32:5 كان عمر نوح 500 سنة ومن الآية 6:7 كان عمره 600 وقت الطوفان وبهذا تكون مدة بناء الفلك 100 سنة. وقيل أنها 120 سنة على أساس أن أقصى مدة يعطيها الله كعمر للإنسان هى 120 سنة وهى فى نفس الوقت تعتبر فرصة للتوبة. وبهذا يكون مدة بناء الفلك تتراوح من 100 إلى 120 سنة".([[37]](#footnote-37))

**وقفة مع أوصاف السفينة في الكتاب المقدس:**

قد يتبادر إلى الذهن سؤال عن مواصفات السفينة، التي انفرد بذكرها العهد القديم والتي ذكرتها سابقا، حيث ذكر أن طول السفينة ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسون ذراعا، وارتفاعها ثلاثون ذراعا، فهل يعقل أن تتسع هذه الأبعاد إلى ركاب السفينة من البشر المؤمنين – وهم قليل – وزوجين اثنين من كل الدواب على الكرة الأرضية؟؟([[38]](#footnote-38))

يتبين لنا مما تقدم أن القصة التوراتية عن نوح، أعطت معلومات مفصلة عن طبيعة السفينة من حيث نوعية الخشب والطلاء، والبناء والتركيب، والأبعاد طولا وعرضا وارتفاعا، أما فيما يختص بالقرآن الكريم فلم يأت بمثل تلك التفصيلات، ولكن بعض كتب التفسير اهتمت بهذا الموضوع، هذا والقرآن الكريم اكتفى بالإشارة للقارئ بأن صنع السفينة جاء ضمن الوحي والتعليمات الإلهية لنوح، والإيجاز هنا أمر هام؛ لأنه يرمي بالواقع إلى إثارة التفكير الإنساني، ودفعه نحو التوصل بنفسه لاستنتاجات عن السفينة من خلال الربط بين الأحداث، فعندما يقرأ الإنسان عن قدرة السفينة الهائلة لشق طريقها بنجاح منقطع النظير من خلال موج عال كالجبال، يدرك عندئذ بأن السفينة كانت فريدة من نوعها، ومهما يكن فاجتماع التوراة والقرآن في تأكيد الدور الإلهي في تعليم نوح لصنع السفينة يذكر الإنسان بأن إتمام صناعة شيء ما في إطار الرعاية الإلهية المباشرة، أعظم بدرجات من إتمام صناعة شيء بالاعتماد على العقل البشري وحده، على أن هذا يؤكد بدوره حاجة الإنسان الدائمة لتلقي العلم من الله سبحانه وتعالى.

1. () إنما قلت (دعاؤه لهم) تأدبا مع هذا النبي الكريم، ولأسباب أخرى سأذكرها قريبا. [↑](#footnote-ref-1)
2. () سورة نوح، آية: 21 ، 22. [↑](#footnote-ref-2)
3. () سورة هود، آية: 40. [↑](#footnote-ref-3)
4. () القصص القرآن للخالدي: 1/ 179 ، 180. [↑](#footnote-ref-4)
5. () سورة هود، آية: 36. [↑](#footnote-ref-5)
6. () سورة نوح، آية: 26 ، 27. [↑](#footnote-ref-6)
7. () ينظر: مختار الصحاح: 1/ 90 مادة (د و ر). [↑](#footnote-ref-7)
8. () سورة الصافات، آية: 75 ، 76. [↑](#footnote-ref-8)
9. () سورة الأنبياء، آية: 76. [↑](#footnote-ref-9)
10. () سورة الشعراء، آية: 117 – 119. [↑](#footnote-ref-10)
11. () سورة القمر، آية: 10. [↑](#footnote-ref-11)
12. () سورة المؤمنون، آية: 26. [↑](#footnote-ref-12)
13. () سورة نوح، آية: 26. [↑](#footnote-ref-13)
14. () العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح السادس: 5 – 7. [↑](#footnote-ref-14)
15. () العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح السادس: 11 ، 13. [↑](#footnote-ref-15)
16. () سورة المؤمنون، آية: 27. [↑](#footnote-ref-16)
17. () ينظر: تفسير الطبري: 11/ 21 ، تفسير الزمخشري: 2/ 392 ، تفسير القرطبي: 9/ 21 ، تاريخ الطبري: 1/ 183. [↑](#footnote-ref-17)
18. () سورة النحل، آية: 14. [↑](#footnote-ref-18)
19. () سورة سبأ: 10 ، 11. [↑](#footnote-ref-19)
20. () سورة القمر، آية: 13. [↑](#footnote-ref-20)
21. () سورة الرحمن، آية: 24. [↑](#footnote-ref-21)
22. () تفسير الشعراوي: 1/ 6143 ، وينظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تفسير الثعالبي): 3/50 ، التفسير الميسر: 4/ 18 ، [↑](#footnote-ref-22)
23. () التفسير الوسيط لسيد طنطاوي: 1/ 3009. [↑](#footnote-ref-23)
24. () ينظر: أضواء البيان: 1/ 473 ، البحر المديد: 3/ 47 ، التفسير الميسر: 4/ 19. [↑](#footnote-ref-24)
25. () ينظر: أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة: 38. [↑](#footnote-ref-25)
26. () ينظر: القصص القرآني للخالدي: 185. [↑](#footnote-ref-26)
27. () القصص القرآني للخالدي: 186. [↑](#footnote-ref-27)
28. () سورة القمر، آية: 13. [↑](#footnote-ref-28)
29. () المفردات: 314. [↑](#footnote-ref-29)
30. () مقالة للأستاذ صلاح الدين إبراهيم أبو عرفة، شبكة المعلومات الدولية، موقع المهندس (www.almuhands.org). [↑](#footnote-ref-30)
31. () ينظر: أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة: 40 ، حياة نوح: 124. [↑](#footnote-ref-31)
32. () ينظر: أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة: 40 ، حياة نوح: 124. [↑](#footnote-ref-32)
33. () سورة هود، آية: 40 ، وسورة المؤمنون، آية: 27. [↑](#footnote-ref-33)
34. () حياة نوح: 125 – 127. [↑](#footnote-ref-34)
35. () العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح السادس: 14 – 16. [↑](#footnote-ref-35)
36. () العهد الجديد، الرسالة إلى العبرانيين، الإصحاح الحادي عشر: 7. [↑](#footnote-ref-36)
37. () تفسير أنطونيس فكري للكتاب المقدس، الإصحاح السادس. [↑](#footnote-ref-37)
38. () ينظر: أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التوراة: 42. [↑](#footnote-ref-38)